

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

أسماء بنت أبي بكر

ذات النطاقين

للصف الأول الإعدادى

العام الدراسى ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م





جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

أسماء بنت أبى بكر

ذات النطاقين

للصف الأول الإعدادى

تأليف
إبراهيم محمد الجمل



أسماء
بنت أبى بكر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إلى أبنائنا وبناتنا طلبة وطالبات
الصف الأول الإعدادى

يسعدنا أن نقدم لكم «قصة أسماء بنت أبى بكر» ـ رضى الله عنهما ـ ككتاب ذى موضوع واحد فى التربية الإسلامية. وهدفنا من تقديم هذا الكتاب لكم يتمثل فى:

١ ـ تعرف سيرة هذه المناضلة العظيمة وما قدمته لدينها وقومها.

٢ ـ تعرف أسلوب حياة المسلمين فى عصور الإسلام الأولى وما قدموه فى سبيل المحافظة على الإسلام ورفع رايته.

٣ ـ الاقتداء بهؤلاء العظماء فى سلوكهم القويم.

وأملنا أن ينال الكتاب إعجابكم، وأن يحقق الهدف المرجو منه، حتى نعيد للإسلام عظمته ونجدد شبابه.

وفقكم الله لخدمة الإسلام ورفع رايته ونفعه بكم، حتى تعيش أمتنا قوية عزيزة بفضل شبابها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الأول

ميلاد أسماء

مقدمة: تبدأ أحداث هذه القصة قبل بعثة الرسول ﷺ بأربعة عشر عاماً،وكان بعض أهل مكة وجيرانهم من العرب فى الجزيرة العربية يعيشون حياة يسودها الجهل وتنتشر فيها العادات السيئة، ولعل أكبر دليل على جهلهم هذه الأصنام المنحوتة من الحجارة التى كانوا يعبدونها ويقدسونها ويقدمون لها القرابين، أما عن العادات السيئة فمن أبرزها: دفن البنات أحياء بعد ولادتهن خوف الفقر والذل، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وفوق كل ذلك الحروب القبلية التى كانت تقوم بينهم فيُقتل فيها أعداد كبيرةٌ من الشباب وتَشْتعلُ نار العداوة والكراهية بينهم، ويستمر مُسلسلُ الثأرِ لسنوات طويلة، وفى ظل هذه الحياة ولدت «أسماء بنت أبى بكر» فتفرح العائلة كلها بولادتها، الجد والجدة، والأب والأم وهذا الفرح يوضح أن هذه الأسرة تختلف فى تفكيرها عن غيرها من كثير من الأسر العربية فى مكة التى كانت ترى فى ولادة البنات عاراً عظيماً.

وتحسن الأسرة تربية ابنتها فتنشأ نشأة سليمة تتعلم وتتقن ما يجب على الفتاة أن تتعلمه وتتقنه فيحبها الجميع وتشب سليمة العقل والجسم، ولعل أول درس وأعظمه أنها تعلمت من أبيها ألا تسجد لصنم قط.

حدث سعيد

كان ذلك الميلاد فى العام الرابع عشر قبل بعثة النبى ﷺ فى بيت من بيوت سادة قريش هو بيت «عبدالله بن أبى قحافة الملقب بأبى بكر»، وهو بيت عز ومجد وغنى، فقد انشغل أهل هذا البيت العظيم بحدث طارئ.

كانت «قتيلة بنت عبدالعُزَّى» زوجة أبى بكر، على وشك وضع مولودها الثانى.

فُتحَتْ أبواب البيت الكبير للنساء القريبات والمقربات يدخلن ويخرجن سعياً فى قضاء ما تحتاج إليه الولادة.

جاءت قابلات[1] مكة اللائى يقمن بعملية الولادة، وجلسن للتشاور فيما ينبغى عمله حتى يتم الوضع بأقل متاعب، ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى وضعت قتيلة طفلتها.

استقبال الأسرة للمولود الجديد

أسرعت أمُّ الخير «سلمى بنت صخر» تبشر ابنها، وقد ملأت عينيها منها، ووصفتها له فقالت: يا عبداللَّه.. بارك اللَّه لك فى مولودتك، فسيكون فيها الخير والبركة، إنها طويلة جميلة، وفيها الكثير من ملامحك، فأبشر بها يا أبا بكر.

قال أبو بكر: شكر اللَّه لك يا أماه، وأرجو أن تكون مثلك فى صفاتك وأعمالك وأن تجعلك قدوتها ومثلها الأعلى عندما تكبر، فتملأ علينا البيت فرحاً وسروراً.

خرجت أم الخير، وجلس أبو بكر يحمد اللَّه، ويشكره على عطيته؛ فهو الذى يهب، وهو الذى يعطى.

ثم دخل والده أبو قحافة، وقد امتلأ وجهه بالسرور قائلاً: ـ عم مساء[2] يا أبا بكر.

ـ عمت مساء يا أبتاه.

ـ بم سميت مولودتك يا بُنىَّ العزيز؟

ـ سميتها أسماء يا أبتاه.

ـ بورك لك فيها يا عبداللَّه، ولعلك كنت تريد ولداً؟

ـ واللَّه يا أبتاه ما أردت وما اخترت، وسواء أكانت بنتاً أم ولداً فهو من عند الخالق، وليبارك اللَّه لنا فيها، وفى أخيها عبداللَّه.

(١) قابلات: جمع قابلة وهى التى كانت تقوم بتوليد النساء فى الماضى.

(٢) عم مساء، وعم صباحاً: تحية المساء والصباح قبل الإسلام.

تربية وتعليم وتوجيه

فرح أبو بكر بأسماء كثيراً، فقد كانت قوية الجسم، سريعة النمو، وكلما ازداد نموها زاد ذكاؤها، وتفهمها لكل ما تسمع، تحفظه وتردده حتى حفظت الكثير من أشعار العرب ورواياتها، وأخبار العرب وتاريخهم وأنسابهم، فعرفت الكثير منها.

تعلمت من والدها الشجاعة فى القول والعمل، والأمانة فقد كان أميناً فى تجارته التى جلبت عليه أموالاً طائلة[1]، صادقاً فى حديثه مع الناس فلم يؤثر عنه أنه كذب مرة ليصل إلى منصب أو جاه، عف اللسان فلم يصدر منه ما يسىء إلى إنسان مهما كانت مكانته. وتعلمت منه الرحمة والرفق بالضعفاء، وإطعام الفقراء والمحتاجين، ونجدة المستغيث، والكثير من الصفات الحميدة التى اتصف بها أبو بكر وعرفها الناس فيه.

لم لا يفرح بها وقد أحبته كثيراً؟، كانت تسمعه وتصغى إليه، وتشاركه الحديث، وربما وقفت وراء الباب تنتظر أوبته[2] بنفس متلهفة[3] على لقياه فهو مثلها الأعلى الذى تتأسى[4] به وتقلده فى أعماله وكلامه وجلسته، وتتمنى أن تكون مثل أبيها فى حياته حتى تكون محل احترام وتقدير من كل الذين يعرفونها.

نشـــأتهـا

كانت أسماء منذ طفولتها تشارك الخدم فى إعداد الموائد للضيوف الذين لا تخلو منهم قاعة البيت الكبيرة فى يوم من الأيام، سواء كانوا من الفقراء والمساكين أو من القاصدين لأمور التجارة، فقد كان والدها من كبار تجار مكة وكانت تجارته فى الأقمشة التى ربح منها مالاً كثيراً، أو من الذين يأتون ليفصل بينهم فى أمور الديات[5] التى ولَّته قريش القضاء فيها، وكانت تصدقه فى كل ما يقول. وكثيراً ما كان يقصده العلماء والنسَّابون ليزدادوا من علمه.

(١) طائلة: كثيرة.
(٢) الأوبة: الرجوع.
(٣) متلهفة على لقياه: حريصة على رؤيته مشتاقة.
(٤) تتأسى به: تقتدى به.
(٥) الديات: جمع دية وهى ما تدفع فى الجنايات.

لقد كانت أسماء ترى كل هؤلاء من بعيد، وربما أنصتت إلى حديثهم مع أبيها، وناقشته فيما سمعت بعد انتهاء المجلس، وأدلت برأيها فيما قيل معتمدة على ما تعلمته من أبيها، واعية[١] لكل ما ذكر.

لقد كانت سعيدة وهى تساعد الخدم فى إعداد الموائد للبيت وللضيوف، الذين قلما تخلو قاعة الطعام الكبيرة منهم، غير متعالية ولا متكبرة.

كانت تذهب أحياناً مع أبيها إلى البيت الحرام، وتطوف معه، وترى الناس وهم يقابلونه بالبشر والترحاب، فيقتربون منه، ويصافحونه فرحين مسرورين، فتزداد فخراً وتيها[٢] به.

قالت أسماء لأبيها وهى تطوف معه بالبيت العتيق[٣]: لماذا يحبك الناس كثيراً يا أبتاه؟

قال أبو بكر: لأننى أحبهم، وأقضى حوائجهم.

ـ يا أبت إننى أراهم يسجدون للأصنام، فلماذا لا تفعل مثلهم؟

قال أبو بكر: إن السجود إنما يكون للإله الذى خلقنا وحده، وخلق لنا كل شىء، وهذه الأصنام من صنع الناس ولا فائدة ترجى منها.

ـ حقيقة يا أبتاه، ولكن من الذى علمهم أن يفعلوا ذلك؟

ـ إنها يا أسماء عادات وتقاليد أخذوها عن آبائهم وأجدادهم دون تفكير سليم. قالت أسماء: أنا مثلك يا أبتاه لن أسجد لصنم أبداً.

---

(١) واعية: حافظة.

(٢) تاه تيهاً: تكبر وافتخر.

(٣) البيت العتيق: القديم الكريم، ويطلق البيت العتيق على الكعبة.

الخلاصة

لعل من أهم الدروس التى تعلمتها من هذا الفصل هى:

١ ـ نبذة عن حياة أبى بكر فهو رجل من طبقة الأثرياء لأنه يعمل بالتجارة، وهو رجل سليم الفكر راسخ العقل فهو لا يشارك قومه فى عبادة الأصنام ولا يشرب الخمر ويربى أولاده تربية سليمة.

٢ ـ وتعلمت كيف أن الفتاة إذا أحسن توجيهها وتربيتها أصبحت نافعة لنفسها وأهلها وقومها.

وها هى ذى «أسماء» تشب قوية الجسم، شجاعة، ذكية، مثقفة متواضعة.

والمدرسة التى تعلمت فيها هى: بيت الأسرة ومعلمها هو والدها.

المناقشة

١ ـ «**بورك لك فيها يا عبداللَّه، ولعلك كنت تريد ولداً؟ واللَّه يا أبتاه ما أردت وما اخترت، وسواء أكانت بنتاً، أم ولداً فهو من عند الخالق، وليبارك اللَّه لنا فيها وفى أخيها**».

(أ) من عبداللَّه، ومن أبوه؟ وما مناسبة هذا الحوار؟

(ب) كان رد عبداللَّه على والده يوضح سلامة عقله وحسن تفكيره. وضح.

(جـ) تخير الإجابة الصحيحة من بين الإجابات الآتية:

الاستفهام فى «لعلك تريد ولداً؟»

١ ـ دليل على أن (الجد يكره البنات).

٢ ـ دليل على أن (الأب يكره البنات).

٣ ـ دليل على أن (الأسرة تحب البنات).

٤ ـ دليل على (اختلاف تفكير الأسرة عن غيرها من الأسر).

٢ ـ «وربما وقفت وراء الباب تنتظر أوبته بنفس متلهفة على لقياه فهو مثلها الأعلى الذى تتأسى به وتقلده فى أعماله وكلامه...».

(ا) تخير أدق الإجابات مما بين القوسين:

معنى «أوبته» (عودته ـ خروجه ـ حلوله)

معنى «متلهفة» (حزينة ـ مشتاقة ـ غير مهتمة)

معنى «تتأسى» (تحزن ـ تنسى ـ تقتدى)

(ب) من الذى كانت تنتظره «أسماء»؟ ولماذا؟

(جـ) اذكر بعض الصفات والأعمال التى تعلمتها أسماء من أبيها.

٣ ـ ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة:

(ا) كان أبو بكر لا يسجد لصنم
- لأن قومه لا يعبدون الأصنام.
- لأنه يحب أن يخالف قومه.
- لأن الأصنام لا تنفع ولا تضر.

(ب) كان الناس يعبدون الأصنام
- لأنها ترزقهم وتشفيهم.
- لأن شكلها جميل.
- لأنهم تعودوا على ذلك دون تفكير.

(جـ) كانت أسماء تشارك فى عمل البيت
- لأنهم فقراء وليس عندهم خدم.
- لأنها تشك فى أمانة الخدم.
- لأنها متواضعة وتريد أن تتعلم.

٤ ـ صف حال العرب قبل بعثة الرسول ﷺ.

الفصل الثانى

إسلامها

مقدمة: كان أبو بكر الصديق والد أسماء أول من أسلم من الرجال، ولسرعة إسلامه أسباب من أهمها:



الصداقة التى كانت تربط بينه وبين محمد ﷺ، والأخلاق الكريمة التى تمتع بها أبو بكر، واتفاقها مع أخلاق الرسول ﷺ ومع مبادئ الإسلام.

وبما أن أسماء كانت تحب أباها حباً شديداً، وتعجب بأخلاقه الكريمة وصفاته الحميدة، فقد أسرعت إلى الإسلام بمجرد أن علمت بإسلام والدها.

إسلام أبى بكر

كان أبو بكر والد أسماء يعيش بمكة فى الحى الذى يعيش فيه «محمد بن عبداللَّه» مع زوجته «خديجة بنت خويلد»، وكان يسمى حى التجار، وقرب الجوار له أكبر الأثر فى روابط الصداقة والألفة بين الناس، وقد ربط الجوار بين «محمد ﷺ» وبين «أبى بكر» فجعل منهما صديقين مؤتلفين؛ متقاربين فى السن، ومشتركين فى العمل وهو التجارة، ومتفقين فى البعد عن عادات وتقاليد الجاهلية.

صاحب أبو بكر محمداً، وكان يرى فيه من الصفات ما لا يراه فيمن عرف من الرجال، بل لقد كان يدهش[1] من التصرفات التى يتميز بها عن غيره، ويرى أن وراءه سراً يعجز عن معرفته، لذلك حينما بعثه اللَّه برسالته، وطلب محمد ﷺ منه الإيمان بما جاء به من عند اللَّه لم يتردد، ولم يفكر طويلاً، بل أسرع إلى التصديق بكل ما جاء به، وزالت عنه الدهشة والحيرة.

(١) يدهش: يتحير.

قال محمد ﷺ –ما معناه–:

– يا أبا بكر إنك صاحبى، وأنت أول من أبلغه من الرجال ما أمرنى به ربى.

– نعم.. إننى مستمع إليك، ومصدق لكل ما تقول.

– إن ما أقوله ليس من عندى، وإنما هو من عند اللَّه – سبحانه وتعالى –.

– نعم إننى أصدقك، وأوقن إيقاناً مؤكداً أن ما تقوله هو الحق.

– إننى رسول من اللَّه إلى الناس أجمعين.

– نعم يا رسول اللَّه، وإنك أنت الصادق الأمين.

– إن هذا الأمر سيظل الآن سراً، حتى يأمرنا الله – سبحانه وتعالى – بالجهر به.

قال أبو بكر: نعم يا رسول الله، وأنا معك مؤمن بكل ما تأمر به.

إسلام أسماء

ترك أبو بكر رسول الله، وتوجه إلى بيته، وطرق الباب، فعرفت أسماء أنَّ مَنْ بالباب أبوها أبو بكر، فأسرعت لتفتح له، وما كاد يراها حتى ابتسم لها وقال: السلام عليكم.

– ما هذا.. يا أبتاه؟ هل هذه تحية اللقاء؟

– نعم.. إنها تحية الإسلام، وهى تحية اللقاء للمسلمين، فحيثما يلق المسلم أو المسلمة أخاً أو أختاً يبدأه أو يبدأها بهذه التحية.

– ومن الذى عرفك بها؟

– محمد بن عبداللَّه ﷺ.. فقد أرسله اللَّه – سبحانه وتعالى –.

– محمد بن عبدالله صاحبك الأمين، وبم أرسله اللَّه؟!

قال أبو بكر: أرسله اللَّه ليعلم الناس أنه – سبحانه وتعالى – هو الخالق وحده للكون، وأنه هو المخصوص بالعبادة، وأن يتركوا عبادة الأصنام، وأن يصدقوا رسوله فى كل ما يدعو إليه.

قالت أسماء: يا أبت إننى أسلمت وآمنت بكل ما جاء به محمد بن عبداللَّه ﷺ من عند اللَّه ـ تعالى ـ وأمره به.

قولى يا أسماء: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً رسول الله، سأقولها فى كل وقت بالليل والنهار، وفى السر والعلن. ولكن قل لى يا أبت: ما رد تحية الإسلام؟

– رد هذه التحية: وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته.

لقاء مع حبيب اللّه

ما كادت أسماء تخلو بنفسها، إلا وتفكر فى الدين الذى جاء به رسول اللَّه ﷺ من عند ربه، وتتشوق إلى معرفة المزيد من هذا الدين، وكيف تستطيع أن تعبد اللَّه؟ وهل سيؤمن به كل الناس فى مكة؟ إنها تريد مزيداً وبياناً لكل ما يجول فى نفسها! وبينما أسماء غارقة فى تفكيرها، سمعت دق الباب، فاتجهت إليه لترى من الطارق، وما كادت تفتح حتى وجدت نفسها أمام رسول اللَّه ﷺ وتلقته فرحة مسرورة، ثم سارت معه حيث يجلس أبوها أبو بكر.

قام أبو بكر ليجلس رسول اللَّه ﷺ وقد رحب به، وتحدث إليه، ثم أقبلت أسماء وحيت رسول الله ﷺ ثم قالت: يا رسول الله إننى آمنت بكل ما جئت به.

ابتسم لها النبى ﷺ ثم سألها متلطفاً: بأى شىء جئت يا أسماء؟

قالت أسماء: قال لى أبى: إنك جئت برسالة من عند الله –تعالى– بأنه واحد لا شريك له، وأنه أرسلك إلى جميع الناس لتعلمهم ذلك، وأنه هو الذى يُعْبد وحده، وأنه يأمر بالخير وينهى عن الشر، وعن الإساءة إلى الناس، وأن الجنة فى الآخرة لمن استقام وخاف من العقاب، وأن النار لمن أشرك وكفر وظلم الخلق.

– بارك اللَّه فيك يا أسماء. ولكن تعاهديننى على الطاعة للَّه ولرسوله فى كل ما يأمر به.

– نعم يا رسول اللَّه أعاهدك وأعاهد الله – تعالى– على الطاعة لكل ما تأمر به والعبادة للَّه وحده.

دعا لها رسول اللَّه ﷺ بأن يقوى إيمانها ويثبتها على الحق، وأن يضاعف لها الثواب والأجر فى الدنيا والآخرة.

الخـلاصـة

كانت صفات أبى بكر الحميدة وأخلاقه الكريمة وصحبته لمحمد بن عبد اللّه ﷺ وإعجابه بأخلاقه السبب فى سرعة إسلامه وتصديقه.

ولما كان أبو بكر الأسوة الحسنة، والمعلم القدير، والأب الحبيب لأسماء كان من الطبيعى أن تكون «أسماء» ـ رضى اللّه عنها ـ من أوائل المسلمات.

المناقشة

١ ـ «**يا أبا بكر إنك صاحبى، وأنت أول من أبلغه من الرجال بما أمرنى ربى به**».

(ا) من القائل؟ وما الخبر الذى أراد إبلاغه به؟

(ب) تخير الصواب من العبارات الآتية:

أسرع أبو بكر بتصديق محمد ﷺ : مجاملة لأنه صديقه.
خوفاً من قوته.
لاتفاق الإسلام مع تفكيره.

٢ ـ «**وما كادت أسماء تخلو بنفسها إلا وتفكر فى الدين الذى جــاء به رسول الله ﷺ من عند ربه، وتتشوق إلى معرفة المزيد عن هذا الدين**».

(ا) كيف أسلمت أسماء؟ وما وسيلتها لتعلم الدين؟

(ب) ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة فيما يأتى :

١ – واجب الفتاة
(ا) أن تتقن أعمال المنزل فقط.
(ب) أن تتعلم أمور الدين فقط.
(جـ) أن تتعلم العلوم بجميع أنواعها.
(د) أن تجمع بين كل ما سبق.

٢ ـ كان إسلام أسماء
(ا) أساسه تقليد والدها.
(ب) سببه حبها للتغيير.
(جـ) لأن الإسلام كان (موضة العصر).
(د) تأكيداً لفكرها السليم.

الفصل الثالث

لقاء الإيمان

مقدمة: ضربت أسماء المثل للفتاة المؤمنة، فهى تتعلم من أبيها ومن الرسول ﷺ وهى تعمل بما تتعلمه، وهى مؤمنة إيجابية، تشارك المؤمنين أفراحهم وأحزانهم وتسأل عنهم، وتقدم كل ما تقدر عليه، وهى ترضى ربها ودينها فرضى اللَّه عنها وحقق ما تصبو إليه..

أسماء على الطريق الصحيح

اتبعت أسماء كل ما جاء به رسول اللَّه ﷺ، وعملت به، فنفذت ما يدعو إليه الإسلام، كانت تنتظر والدها حتى يعود إلى البيت، ليخبرها بأحوال الرسول ﷺ وأحوال المسلمين، وبما يجرى بينهم وبين المشركين من قريش الذين وقفوا ضد الدعوة، وآذوا رسول الله ﷺ والمسلمين معه، كان يلقنها[1] كل ما سمع من الرسول من أحاديث وما نزل عليه من آيات وسور القرآن الكريم، ولم تكتف بذلك بل كانت تذهب متخفية مع المسلمات إلى دار «الأرقم بن أبى الأرقم»، تلك الدار التى كان يذهب إليها المسلمون والمسلمات متخفين فى أول الدعوة للاجتماع بالرسول ﷺ والاستماع إلى ما نزل به جبريل –عليه السلام– من آى الذكر الحكيم، وما يأمره به ربه، سبحانه وتعالى.

كانت تلتقى بمن أسلمن من النساء، لتتعرف ما يصيب المسلمين من الأذى، وتهتم بأخبار أبيها، والذين يترددون على بيته، ومنهم «عثمان بن عفان» و«عبدالرحمن بن عوف» و«سعد بن أبى وقاص» و«طلحة بن عبيدالله» و«الزبير بن العوام»، وكانت شديدة الإعجاب بقوة إيمان الزبير وصبره على تحمل الأذى، ودفاعه عن عقيدته.

(١) يلقنها: يقرأ عليها ويعلمها.

قوة الإيمان

كان عم الزبير رجلاً كافراً شديد الكفر غليظ القلب، يحقد على ابن أخيه الزبير من يوم أن رآه يتبع محمداً، ويؤمن بدعوته.

قال له العم يوماً:

- بلغنى أنك اتبعت دين محمد، «وكان الزبير خامس خمسة أسلموا للَّه رب العالمين، وكان فتى فى الخامسة عشرة من عمره».

قال الزبير: نعم أسلمت للَّه رب العالمين.

- دعك من هذا - يا بنى - وعد إلى دين قومك، فهو خير وأفضل.

- لن أعود.. وافعل ما تشاء.

لقد أثرت فى نفس العم هذه الإجابة، واشتد غيظه وقرر أن ينتقم من الزبير، فأمسكه وقيد يديه ورجليه بالحبال ولفه فى حصير، وعلقه على الحائط، وأوقد تحته ناراً فاندلعت ألسنة الدخان إلى رأس الزبير، ونفذت إلى عينيه، فسالت منها الدموع، وكاد الدخان أن يكتم أنفاسه، فأحس الزبير ضيقاً شديداً وكاد أن يغمى عليه ويفقد صوابه، ولكنه صبر على هذا البلاء، وتحمل العذاب الشديد ولم يقلل من إيمانه وعقيدته، وكانت كلمة التوحيد لا تفارق شفتيه.

طلب منه عمه أن يعود إلى دين قومه، ولكنه أخبره أنه لن يعود إلى الكفر أبدًا، ولو قطعه إرْباً إرْبًا.

لقد علم أن عذاب الزبير لن يرجعه عن إيمانه بما جاء به رسول اللَّه ﷺ، فملّ من تعذيبه، ويئس من رجوعه، ففك عقاله[1] وتركه وشأنه.

(١) عقاله: قيده، العقال: القيد.

إعجاب فى اللّه

كانت أسماء تتتبع أخبار الزبير، وقد أعجبت بإيمانه، وصبره على الأذى، وثباته على عقيدته، وإخلاصه لدينه، فحزنت من أجل ما يلقاه من عذاب، ودمعت عيناها رحمة به وشفقة عليه.

دخل عليها أبو بكر، فوجد الحزن بادياً على وجهها، وآثار الدموع فى عينيها فسألها، ما هذه الدموع يا أسماء؟

– دموع من أجل اللَّه.. ومن أجل العذاب الذى يلقاه المسلمون الذين اتبعوا الدين الحق وآمنوا بما جاء به رسول الله ﷺ.

– ومن تقصدين منهم؟

– أقصد «الزبير بن العوام» صاحبك، وما يلقاه من عمه، ومن أهله.

– «الزبير بن العوام».. لا تحزنى فسوف أكافئه على صبره وإيمانه.

قالت أسماء: هل ستعطيه مالاً يتاجر به يا أبتاه، فقد علمت أنه معدم؟

– نعم يا بنيتى العزيزة، وأعطيه ـ أيضًا ـ ما هو أغلى من المال ـ إن شاء الله ـ.

إرادة اللّه

إن أسماء قد أصبحت فى سن تصلح للزواج، ولابد من اختيار زوج لها، وإن حديثها عن الزبير يغرى أبا بكر بالكلام معه فى أمرها، وليس عيباً أن يختار الأبُ الإنسانَ الصالحَ لابنته، ولا مانع من أن يبدأ الحديث معه، وإن كان الزبير واحداً من المقربين إلى أبى بكر، ولكن كيف يبدأ الحديث؟ هل يفاجئه بالموضوع؟ أو يلمح له من بعيد؟ وبينما أبو بكر يخطط لبدء الحديث معه إذ دخل على أبى بكر فى قاعة الضيوف جماعة من المقربين، وفيهم ابن العوام، كان حديثهم فى شأن الدعوة وما يلقاه المسلمون من إيذاء المشركين لهم، وفيما نزل حديثاً من القرآن، ولما هَمَّ الجماعة بالانصراف، استأذن الزبير، واستسمح القوم أن يبقى وقتاً مع أبى بكر، ثم اقترب منه وقال له: يا أبا بكر. جئتك فى أمر.

- إن شاء الله يكون خيراً.

- هو الخير كله إن شاء الله جئتك أطلب منك يد ابنتك «أسماء» لنفسى.

سكت أبو بكر، وأطرق إلى الأرض، ومر بخاطره ما كان يفكر فيه منذ قليل، ثم حدث نفسه قائلاً: والله إنه لمن صنع الله، والله إنه لمن صنع الله!!

قال أبو بكر لابن العوام: انتظرنى لحظات.

دخل على أسماء، وأخذها جانباً وهمس فى أذنيها بكلمات احمر لها وجه أسماء، وأطرقت بوجهها إلى الأرض حياء[1]، ولم تتكلم، فضمها الوالد إلى صدره، ثم عاد إلى الزبير وقال:

- وافقنا على الخِطْبة.. فعلى بركة الله.

زواج أسماء والزبير

سرى الخبر فى مكة.. بموافقة أبى بكر على زواج الزبير من أسماء وباركه رسول الله ﷺ فأم الزبير عمته، و«العوام بن خويلد» أخو السيدة خديجة زوج النبى ﷺ، وهذا الزواج فيه تقوية الصلة بين المسلمين الأوائل فالزبير أسلم وله من العمر خمس عشرة سنة، وكان - رضى الله عنه - خامس من أسلم، وأسماء أسلمت ولم تتجاوز الرابعة عشرة من العمر، وكان ترتيبها من الذين دخلوا الإسلام السابعة عشرة من بين الرجال والنساء. تعجب المشركون من موافقة أبى بكر على هذا الزواج، ونسوا أن الإسلام حطم الفوارق بين الناس، وجعل مبدأ الإيمان والتقوى فوق كل المبادئ الدنيوية.

وجاء موعد الزواج، وفرح النبى والمسلمون وهنأ بعضهم بعضاً، فالإسلام قضى على عادات وتقاليد الجاهلية.

اجتمع أهل مكة فى بيت أبى بكر، وأقيمت الموائد، وضربت الدفوف[2] وغَنَّت الجوارى، ودعا الجميع للعروسين بالرفاء والبنين.

ثم ذهبت أسماء مع زوجها إلى بيته والفرح يملأ قلبيهما، وكان هذا من تدبير العلى القدير.

(١) حياء: خجلاً.

(٢) الدفوف: جمع دف. آلة طرب ينقر عليها.

فى بيت الزوجية

بدأت أسماء حياتها الزوجية فى مكة، فانتقلت إلى بيت الزبير، وكان فقيراً فلم يكن فى بيته إلا فراشٌ ووسادة من ليف وحشية، فيها مثل ما فى الوسادة، وقِرْبة من الجلد للشرب والاغتسال، ولكنها كانت راضية سعيدة، لأنها اجتمعت مع الزبير على الإسلام، فلم تضجر[1] من حياتها، ولم تكلف زوجها بما لا يطيق، فكانت متعاونة تهيئ له أسباب الراحة، وتشاركه فى العبادة، وحفظ ما ينزل من القرآن.

لقد أعطى الإسلام للزبير دفعة قوية نحو العمل والجد والاجتهاد، فما كاد يستقر فى بيت الزوجية حتى سافر فى تجارة إلى الشام.

الخلاصة

يتناول الفصل سلوك المؤمن المسلم.

فأسماء تؤدى حق الدين بالعبادة والعلم، وعندما تفكر كفتاة فى شريك حياتها تختار المؤمن الصابر القوى بإيمانه وعزيمته، وتتحقق إرادة اللّٰه فيقترن الفتى المؤمن بالفتاة المؤمنة.

وأبو بكر يفكر فى أمر ابنته عندما تصل إلى سن الزواج، ويختار لها المناسب، وهو تصرف سليم من أب مؤمن عاقل.

(١) تضجر: تضيق وتتبرم.

المناقشة

١ ـ «كان أبوها يلقنها كل ما سمع من الرسول ﷺ من أحاديث، وما نزل عليه من آيات وسور القرآن الكريم، ولم تكتف بذلك بل كانت تذهب متخفية مع المسلمات إلى دَار الأرقم بن أبى الأرقم للاستماع إلى الرسول ﷺ».

(ا) تخير الإجابة الصحيحة مما بين الأقواس فيما يأتى:

معنى يلقنها: (يطعمها ـ يقرأ عليها ـ يسمع منها).

مفرد أحاديث: (حَادث ـ حدث ـ حديث).

مضاد متخفية: (ظاهرة ـ جريئة ـ عارية).

(ب) لماذا كانت «أسماء» تذهب إلى مكان اجتماع الرسول بالمسلمين متخفية؟

(جـ) بم تفسر ذهاب أسماء والمسلمات إلى الرسول ﷺ للسماع منه ؟

٢ ـ أكمل العبارات الآتية:

كان الزبير بن العوام فى السنة .... من عمره عندما أسلم.

وكان ترتيبه ...... فى ترتيب من أسلم من الرجال.

أما أسماء فلم تكن تتجاوز .... من عمرها عندما أسلمت.

وكان ترتيبها .... من بين من أسلم من الرجال والنساء.

٣ ـ تعجب المشركون من موافقة (أبى بكر) على زواج (الزبير) من ابنته (أسماء) ما سر تعجبهم؟ وبم ترد عليهم؟

الفصل الرابع

هجرة الرسول ﷺ

مقدمة: يتناول هذا الفصل حادث هجرة الرسول ﷺ وصاحبه أبى بكر إلى المدينة، وهو من أعظم أحداث التاريخ، وكان أبطاله الرسول ﷺ وأبا بكر وأسماء وعبدالله بن أبى بكر، وعامر بن فهيرة، وعبداللَّه بن أريقط تؤيدهم جميعاً عناية الله ورعايته، ولقد نجحت الهجرة بفضل عناية اللَّه ورعايته وتوفيقه، وبفضل الإعداد الجيد المتقن الذى وضعه الرسول ﷺ وأبو بكر ـ رضى اللَّه عنه ـ.

الزيارة المفاجئة

ترك الزبير زوجته أسماء، ليذهب بتجارة إلى الشام، وانتقلت أسماء إلى بيت أبيها، لتكون مع أخيها عبدالله وأختها الصغيرة عائشة وأم رومان زوجة أبيها.. وفى يوم كانت أسماء وأختها عائشة تجلسان قريباً من سرير أبى بكر، وإذا الباب يُدقّ، فأسرعت أسماء لتفتح، ولترى مَنْ الطارق؟ فإذا به رسول اللَّه، ﷺ.

كان وقت الظهيرة، ولم يكن ﷺ متعوداً أن يَأْتِىَ فى مثل هذا الوقت، وفكر أهل بيت أبى بكرٍ فى أن أمراً عظيماً قد وقَع.

سلم رسول اللَّه، واستأذن فى الدخول، وقابل أبا بكر الذى أسرع فى القيام من مكانه ليجلس الرسول، ثم قال ﷺ لأبى بكر:

– يا أبا بكر أَخْرِج مَنْ عندك.

– بأبى أنت وأمى يا رسول اللَّه إنما هم أهلى، وإنهما أسماء وعائشة!

– يا أبا بكر، فإنى قد أُذِن لى فِى الخروج والهجرة.

– أنا معك، الصحبة يا رسول اللَّه.

– نعم الصحبة يا أبا بكر.
– تأخذ أنت يا رسول اللَّه إحدى راحلتى هاتين.
– نعم – يا أبا بكر – سآخذها بالثمن.

مؤامرة فاشلة

يئس المشركون من إثناء محمد عن دينه، فقرروا التخلص منه قبل أن يستشرى خطره، فاختاروا من كل قبيلة فتى قوياً لمحاصرة بيت محمد بالليل وقتله، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل، ويعجز قومه بنو هاشم عن مواجهة قريش كلها للثأر.

أخبر اللَّه رسوله ﷺ بما اتفق عليه كفار مكة، فطلب من على بن أبى طالب أن ينام مكانه، وأن يتغطى بِبُرده الأخضر الحضرمى[1]، كان المجتمعون ينظرون من ثقب بالباب، فيرون النائم، فيطمئنون إلى أن محمداً مايزال نائماً مكانه، ولكن النبى ﷺ خرج من بين صفوفهم وهم لا يشعرون.

وكانت أسماء تقوم بواجبها من وقت أن علمت بالسَّفَر، فأحضرت ما يحتاج إليه المسافران. ثم وصل رسول اللَّه إلى بيت أبى بكر فى الثلث الأخير من الليل، وكانت أسماء قد أعدت لهما كل شىء.

خرج الرسول وصاحبه من خوخة[2] فى ظهر بيت أبى بكر مُتَّجِهَيْن جنوباً إلى طريق اليمن حيث وصلا إلى غار ثور.

وأطل نور الصباح والمشركون ينتظرون أن يقوم النائم، وما أعظم دهشتهم حينما رأوا أن النائم ليس هو محمداً، وإنما هو «علىّ بن أبى طالب»!!

نظر بعضهم إلى بعض فى دهشة واستغراب، فبعضهم يقسم أنه رآه وهو يتغطى بالرداء، وبعضهم سخر من كبار القوم من قريش، ولم يمض إلا وقت قصير حتى كان خبر نجاة محمد قد انتشر فى أرجاء[3] مكة.

---

(١) الحضرمى: المصنوع فى مدينة (حضرموت) باليمن.
(٢) الخوخة: باب صغير فى ظهر الدار يستخدم فى بعض الأحيان.
(٣) أرجاء: أنحاء.

عزيمة قوية وحسن تصرف

ثار المشركون، وراحوا يتخبطون فى الطرقات، واتجه أبو جهل أشد أعداء المسلمين، وصاحب فكرة القتل، وتوزيع الدية على القبائل إلى دار أبى بكر ومعه جماعته فهو يعرف الصلة القوية التى بين أبى بكر ومحمد بن عبداللَّه، طرق الباب، فاقتربت أسماء، ثم نادت: من يكون الطارق؟

قال أبو جهل بصوت عالٍ: افتحى يا بنت أبى بكر.

فتحت أسماء الباب:

- أين أبوك؟
- أبى.. خرج من البيت.
- متى خرج؟
- لا أدرى وقت خروجه.
- إلى أين سار؟
- لا أعرف مكانه.

لم يملك أبو جهل نفسه من شدة الغيظ، فهوى على وجه أسماء بيده القوية ولطمها على وجهها لطمةً وصلت إلى أذنها فشقتها وسقط القرط منها، وقد تخضب وجهها بالدماء.

وقفت ثابتة لم تتزحزح رغم ما تعانيه من شدة الضربة، أما أبو جهل فقد انسحب فى خزى وعار. وقد لامه أهل مكة على ضربه لأسماء من غير ذنب جنته.

ولم تكد أسماء تستريح مما لاقته من عدو اللَّه أبى جهل، حتى طرق الباب طارق آخر، وما كادت أسماء تقترب من الباب، حتى سمعت صوت جدها أبى قحافة، ففتحت الباب، ودخل الجد وهو مشغول بما وصل إلى أذنه مما تناقلته الأخبار عن اختفاء رسول اللَّه ونجاته مما اتفق عليه المشركون من قتله والتخلص منه.

قال فى لهفة: أين أبوك يا أسماء؟

– أبى – يا جداه – هاجر إلى ربه.
– وما الذى دعاه – يا أسماء – إلى ذلك؟
– الذى دعاه إلى ذلك – يا جداه – الصحبة لرسول اللَّه، ﷺ.
– الناس تقول: إنه أعطى كل ماله لمحمد.
– أبداً – يا جداه– لقد ترك لنا خيراً كثيراً.
– أرينى – يا أسماء – هذا الخير الكثير.

جمعت أسماء وساعدتها أختها عائشة حصوات(١) من فناء البيت، ولفتها فى قطعة من القماش، ووضعتها فى الكُوَّة(٢)، ثم سحبت جدها وكان قد فقد بصره، فلمس بيده ما وضع فى الكُوَّة، وأسماء تقول: أليس كثيراً يا جداه؟

– الآن قد استراحت نفسى يا أسماء.

دور أسماء ذات النطاقين

عرفت أسماء المكان الذى انتهى إليه الصاحبان، وهو غار ثور، فكانت تأتى إليه ليلاً بالطعام والشراب، يصحبها أخوها عبداللَّه، وقد كلفه أبوه بتتبع المشركين لمعرفة أخبارهم، وما يقومون به من عمل تجاه البحث عن رسول اللَّه.

بقى رسول اللَّه ﷺ وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام بلياليها، وفى الليلة الأخيرة صنعت أسماء سُفْرة فيها شاة مطبوخة ومعها سقاء الماء، وذهبت بهما مع أخيها إلى الغار، حتى إذا دنا وقت الرحيل وقفت أسماء تساعد فى ربط الأشياء، وأرادت أن تعلق السُّفْرة والسقاء، ولم تجد ما تربط به، وبحثت فلم تعثر على ما تريد، ففكت نطاقها(٣) وشقته نصفين، ربطت بأحدهما السُّفرة وبالآخر السِّقاء، رآها رسول الله ﷺ وهى تفعل ذلك، فقال لها:

«أبدلك اللَّه بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة».

ومنذ ذلك الحين سميت أسماء بنت أبى بكر بذات النطاقين.

---

(١) حصوات: جمع حصاة وهى ما صغر من الحجارة.
(٢) الكوَّة: خرق فى الحائط ليدخل منه الضوء والهواء، وأحياناً يسد من الخارج لتوضع فيه الأشياء.
(٣) النطاق: الحزام الذى يلف حول وسط الإنسان، والمرأة العربية حريصة عليه دائماً.

دور عامر بن فهيرة

كان عامر بن فهيرة يرعى غنم أبى بكر، وكان يخرج فى الصباح المبكر بالغنم ليطمس بأرجل الغنم معالم آثار أقدام أسماء وأخيها، حتى لا يراها كفار مكة الذين يبحثون عن الرسول ﷺ وأبى بكر، فيعرفوا مكانهما ويذهب باللبن إلى الغار ليشرب منه الرسول ﷺ وأبو بكر.

دور عبدالله بن أريقط

جاء عبدالله بن أريقط، الدليل الذى سيقود الركب، وهو على معرفة بالطريق، وكان على صلة وثيقة بأبى بكر، واستعدوا للرحيل، وقف النبى ﷺ رافعاً يده إلى السماء يناجى ربه - سبحانه وتعالى -، ويدعوه بما يشاء يطلب منه العون والمساعدة، وأن يحفظه ومن معه من شر الأعداء وعثرات الطريق، ثم يتلو آيات من كتاب الله مما أنزل عليه.

وداع الأحبة

وقفت أسماء لتودع رسول الله ﷺ، وقفت أمامه، وقالت: فى حفظ اللَّه ورعايته وهو خير الحافظين، ثم اقتربت من أبيها، وسلمت عليه، وقبلته فى جبينه، وغبطته[1] على صحبته للنبى ﷺ، ودعت له بالتوفيق فى رحلته... ثم وقفت مع أخيها يراقبان الركب، حتى غاب فى الطريق الطويل المتعرج، آخذين وجهتهم إلى يثرب.

عادت أسماء مع أخيها، وقد بدا عليهما شىء من القلق والحزن، وسادهما الصمت، ولكن عبدالله أراد أن يقطع هذا الصمت فقال: واللَّه يَا أسماء إنى لخائف على أبى بكر وعلى رسول اللَّه.

-ولكننى- يا عبد اللَّه - أخاف على رسول الله أكثر، لأن الدعوة إلى الإسلام لا تتم إلا به.

(١) غبطته: تمنت أن يكون لها من هذا الخير مثل أبيها.

– نعم أنت يا أختاه على صواب، وتفكيرك أنضج من تفكيرى، وإننى أوافقك على ما تقولين.

وأكملت أسماء قولها: لكن يا أخى مما يطمئننى، وترتاح له نفسى أن اللَّه هو الذى أرسله برسالته وهو الذى أمره بالخروج للهجرة، وأنه – سبحانه وتعالى – حافظه وراعيه، وحافظ من معه لإتمام الدعوة، ونشر الإسلام فى كل أرجاء هذه الدنيا الكبيرة.

– هذا – واللَّه – حق يا أسماء.

قالت أسماء: ندعو اللَّه أن نلحق بالنبى وبالمسلمين فى يثرب.

قال عبداللَّه: إن شاء اللَّه سوف نلحق بهم.

الخلاصة

يقدم لنا هذا الفصل درساً عظيماً وهو (قيمة التخطيط).

فلابد قبل الإقدام على أى عمل من تخطيط سليم مدروس، وأن يكون لكل فرد دور محدد يتقنه ويقوم به.

ولقد وزعت الأدوار بمهارة فائقة.

- فأسماء تعد الطعام وتحمله إلى الغار لأنها امرأة، ولن يشك الكفار فيها.
- وعبداللَّه بن أبى بكر يقوم بجمع المعلومات عن الكفار، ويستمع لما يدبرونه ويخططونه، ويبلغه للرسول ﷺ وأبى بكر.
- وعامر بن فُهيرة – مهمته إزالة آثار أقْدَام الرسول وأبى بكر وأسماء وعبداللَّه، ثم عليه أن يذهب فى المساء باللبن ليشرب منه الرسول وأبو بكر.
- وعبدالله بن أريقط (على الرغم من أنه لم يكن مسلماً) كان دليلهما فى السفر؛ لأنه يعلم الطريق جيداً.

المناقشة

١ ـ «واتجه – أبو جهل أشد أعداء المسلمين وصاحب فكرة القتل وتوزيع الديـة على القبائل – إلى بيت أبى بكر ومعه جماعته ليسأل عن أبى بكر».

(ا) ما معنى «الدية»؟ وما مفرد «القبائل»؟

(ب) لماذا ذهب أبو جهل إلى دار أبى بكر، على الرغم من أنه كان يبحث عن محمد؟

(جـ) اذكر ما حدث بين أبى جهل وأسماء باختصار.

٢ – من الذى أطلق على أسماء «ذات النطاقين»؟ ولماذا؟

٣ – «لكن يا أخى مما يطمئننى وترتاح له نفسى أن اللَّه هو الذى أرسله برسالته، وهو الذى أمره بالخروج للهجرة وأنه – سبحانه وتعالى – حافظه وراعيه».

(ا) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتى:

قائل هذه العبارة (أبو بكر الصديق ـ أسماء ـ عبداللَّه بن أبى بكر).

(ب) يدل هذا الكلام على (الخوف والاضطراب ـ الحزن والهم ـ شدة الإيمان).

٤ – تمت رحلة الهجرة بنجاحٍ كبير، والسبب أن:

(ا) الكفار كانوا أغبياء جداً. (ب) المسلمين كانوا أذكياء جداً.

(جـ) العمل كان على درجة كبيرة من التخطيط.

(د) العمل كان على درجة كبيرة من التخطيط ورعاية اللَّه ـ تعالى ـ.

٥ – تحدث باختصار عن دور كل من:

(ا) أسماء رضى الله عنها. (ب) عبدالله بن أبى بكر.

(جـ) عبدالله بن أريقط. (د) عامر بن فهيرة.

٦ – ما أهم درس تعلمته من هذا الفصل؟ وكيف تطبقه فى حياتك؟

الفصل الخامس

أول مولود للمهاجرين

مقدمة: يتناول الفصل الخامس اجتماع الأسرة فى المدينة المنورة بعد فراق، وكرم اللَّه ونعمته بالمهاجرين وخصوصاً أسرة (أسماء)، وظهور المجتمع المتكامل لأول مرة على أرض الجزيرة العربية كلها، مجتمع الحب والتكامل والرحمة والتعاون.

عودة الغائب

علم الزبير وهو بالشام أن رسول الله ﷺ وصاحبه هاجرا إلى يثرب، وأن أهلها فرحوا بهما فرحاً شديداً، وقابلوهما بالبشر والترحاب، وأن آل أبى بكر[1] ومعهم أسماء سيلحقون بهما قريباً، فقد بعث أبو بكر بكتاب إلى ابنه عبداللَّه، حمله إليه زيد بن حارثة وأبو رافع اللذان ذهبا إلى مكة ليأتيا بأهل رسول اللَّه ﷺ، وأن الجميع سيكونون قريباً فى يثرب.

أسرع (الزبير) يطوى الأرض طياً [2]، متجهاً إلى يثرب ليشارك فى ثواب الهجرة إلى اللَّه، وليستقبل زوجته بعد طول غياب، وكله شوق لهذا اللقاء.

وصل فوجد المسلمين مجتمعين فى مسجد رسول اللَّه ﷺ، وما إن رأوه حتى هللوا وكبروا[3]، ثم رحب به رسول اللَّه، وضمه إلى صدره، وفرح به أبوبكر كثيراً، سأله الزبير عن الأهل، فعلم أنهم لم يصلوا بعد إلى المدينة.

(١) الآل: الأهل والعيال. (٢) يطوى الأرض طياً: يقطعها ويسرع فى مشيته.

(٣) هلل: قال لا إله إلا اللَّه. وكبر: قال اللَّه أكبر.

سلامة الوصول

أصابه شيء من القلق.. لماذا تأخر ركب أسماء؟ وما الذى أبطأه فى الطريق؟ وهل أصيبوا بمكروه؟ تُرَى ما الذى حدث؟!

توجه الزبير إلى اللَّه بالدعاء والرجاء أن يصلوا إلى المدينة سالمين، وبينما هو غارق فى تفكيره إذ أقبل البشير من مكة يسبق الآل، ليبشر بسلامة الوصول، فقد وصلوا إلى قباء[1]، ونهض (الزبير) ليستفسر عن سر التوقف فى قباء، فبادره البشير قائلاً:

- أبشر يا بن العوام، فقد رزقك اللَّه مولوداً كريماً!

قال الزبير: مولود.. أين ولد؟

- ولد فى قباء.

- متى كانت ولادته؟

- كانت ولادته فجر هذا اليوم.

- وكيف حال أسماء؟

- بخير.. والحمد لله.

سجد المسلمون شكراً للَّه، وهللوا، فهذا أول مولود يولد للمهاجرين فى المدينة، وهنأ بعضهم بعضاً، وانتشر الخبر فى أرجاء المدينة، وقضى على ما أشيع من أن اليهود سحروا للمسلمين، ولن يولد للمهاجرين مولود.

أسرع أبو بكر ومعه الزبير إلى قباء، والتقيا بالأهل، وحمل الزبير زوجه أسماء وأهل أبى بكر ومعهم المولود الحبيب إلى المدينة، ثم حمل أبو بكر أول حفيد له إلى الرسول فتناوله ﷺ ووضعه فى حجره، وابتسم له وقال: إنه أشبه الناس بأبى بكر!

(١) قباء: قرية قبل المدينة بنحو ميلين وهى الآن مدينة.

ثم طلب ﷺ تمرة فمضغها بفمه الشريف، فاختلطت بريقه، وحنكه[1] بها، فكان أول ريق يصل إلى جوف المولود هو ريق النبى ﷺ، وسماه عبداللَّه، وهو اسم جده أبى بكر، وتناول الصحابة عبداللَّه يقبلونه، ويضمونه إلى صدورهم.

ليلة خالدة

رجعوا بعبداللَّه إلى أمه أسماء فى الدار التى نزلت بها، وقد امتلأت بنساء المهاجرين والأنصار، وهن يرددن الأناشيد، ويرفعن أصواتهن علامة الفرح والسرور.

حمل الأنصار الهدايا والأطعمة إلى بيت أسماء، ومضت ليلة خالدة بين الفرح والسرور الشكر للَّه.

الخلاصة

من أهم الدروس المستفادة من هذا الفصل، والتى تلفت الأنظار:

١ – الإيمان القوى يبطل الشائعات والخرافات، فقد أنعم اللَّه على أسماء بمولودها الأول فى المدينة؛ ليبطل مزاعم اليهود القاطنين بها بأنهم سحروا للمسلمين، حتى لا يولد لهم مولود فى المدينة.

٢ – المرأة المؤمنة تهاجر فى سبيل اللَّه وهى فى شهور الحمل الأخيرة، ورغم ما فى السفر من متاعب ومشاق، معتمدة على اللَّه فلا يخيب أملها ورجاؤها وتتم إرادة اللَّه وتضع مولودها سليماً معافى.

٣ – رابطة الإيمان أقوى من أى رابطة أخرى، فالجميع أهل فى اللَّه وأحباء فى اللَّه، الفرد يعمل من أجل الجماعة، والجماعة فى خدمة الفرد.

(١) حنكه بها: وضعها فى حنكه أى فمه.

المناقشة

١ - **«أسرع الزبير يطوى الأرض طياً متجهاً إلى يثرب ليشارك فى ثواب الهجرة إلى اللَّه، وليستقبل زوجته بعد طول غياب وكله شوق لهذا اللقاء».**

(ا) ما معنى «يطوى الأرض طياً»؟ وعلام تدل هذه الجملة؟

(ب) تخير الصحيح من بين الإجابات المتعددة:

(يثرب) هى: (مدينة الرسول - مكة المكرمة - الطائف)

(جـ) ضع علامة (✗) أمام الخطأ:

- إسراع الزبير فى سفره كان سببه:

«تحقيق الربح من تجارته»

«النهضة إلى لقاء أسرته»

«مشاركة الرسول والمسلمين فى الهجرة ولقاء الأسرة».

٢ - **«سجد المسلمون شكراً للَّه وهللوا، فهذا أول مولود يولد للمهاجرين فى المدينة، وهنأ بعضهم بعضاً، وانتشر الخبر فى أرجاء المدينة».**

(ا) ضع علامة (✓) أمام التعبير الصحيح فقط:

١ - فرح المسلمون بالمولود لأنه ذكر وهم يكرهون البنات. ( )

٢ - فرح المسلمون بالمولود لأنه سيزيد عددهم. ( )

٣ - فرح المسلمون بالمولود لأنه قضى على شائعات اليهود. ( )

٤ - فرح المسلمون بالمولود لأنهم يحبون أسماء والزبير. ( )

(ب) ما معنى (هللوا)، (أرجاء)؟ وما مفرد (مهاجرين)؟

(جـ) ما الذى تفيده عبارة (سجد المسلمون شكراً للَّه)؟

٣ - **حمل الأنصار الهدايا والأطعمة إلى بيت أسماء.**

(ا) من الأنصار؟ وما سبب تسميتهم بهذا الاسم؟

(ب) لماذا خص الكاتب الأنصار بحمل الهدايا ولم يذكر المهاجرين؟

(جـ) ما الدرس الذى تعلمته من هذا الفصل؟ وكيف تطبقه على نفسك ومن حولك؟

حياة جديدة

مقدمة: قدمت أسماء الدرس الكبير لدور المرأة فى الحياة، فهى زوجة تهيئ لزوجها الراحة والسعادة رغم ضيق اليد، وتعاونه فيما تقدر عليه من أعمال فلا تكلفه عاملاً أو خادماً، تدبر وتوفر وتحافظ على ماله، فتوفر له حياة الأمان والاطمئنان فيتفرغ لعمله وعبادته وجهاده فى سبيل الدعوة، وهى أم أنجبت البنين والبنات، وقامت بتربية الجميع على أفضل ما تكون التربية لتقدم للوطن زاداً بشرياً وللدين علماء وأبطالاً رفعوا رايته، وعملوا على رفعته وتقدمه. ولم تنس حق ربها فأدت العبادات أفضل أداء، ولم تنس نفسها فتعلمت وحفظت لنفسها كرامتها. فكانت شخصيتها شخصية المرأة المثالية.

كفاح الزوجة المؤمنة

وفى المدينة بدأت أسماء حياة جديدة، فالأنصار يتعاونون مع المهاجرين، وأسماء مستمرة مع زوجها تقاسمه خشونة الحياة، وهو المعدم الذى ليس له أرض يتولى زراعتها، ولا مال يتجر به، وليس عنده مملوك قد يؤجره وينتفع بأجرته، ولا شىء إلا فرسه الذى يحمل عليه الماء من الآبار.

كانت أسماء تعلف الفرس، فتدق له النوى وتؤكله فتكفى الزبير مئونته، وتسقيه الماء وتخرز غرْبه[1] وتعجن الدقيق، ولم تكن تحسن العجن والخبز فكان لها جارات من الأنصار كن يساعدنها فى العجن والخبز، ويقدمن لها ما تحتاج إليه، فلقد كانت أخوة الإسلام كاملة بين المهاجرين والأنصار، لأنها أقوى من كل شىء حتى من أخوة الأب والأم. ثم إن النبى ﷺ رق لحال

(١) تخرز: تخيط والغرب: وعاء من الجلد يحمل فيه الماء.

الزبير[1]، فأقطعه أرضاً على بعد ثلثى فرسخ[2] من المدينة، وكانت أسماء تحمل النوى على رأسها من تلك الأرض، وتذهب به إلى بيتها لتدقه. لكنها صبرت، وجعلت رسالتها إرضاء زوجها ليرضى عنها اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ فقنعت بكسبه، وحمدت اللَّه على ما أعطاها من رزق، وعاشت صابرة تنتظر الجزاء من اللَّه.

أراد والدها أبو بكر أن يساعدها ويعينها على ما تقاسيه، من غير أن تشكو إليه فأرسل لها خادماً يحمل عنها عناء العمل، ففرحت أسماء كثيراً، ثم قالت تذكر فضل أبيها:

– كفانى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى!

إيمان وأمان

لقد هيأت أسماء لزوجها حياة مستقرة رغم قلة ما بيده من المال، فلم ترهقه بالمطالب، ولا بالشكايات، فاتجه إلى العبادة، وحفظ ما نزل من القرآن، وكثيراً ما كانت أسماء تشاركه فى تلاوة القرآن وحفظه وفى صلاة الليل.

ومما يدل على قيام أسماء بالبيت وبالأسرة الكثيرة العدد أن الزبير كان من أوائل الذين قاموا بواجبهم فى الجهاد، فلم يتخل مرة عن غزوات الرسول، فظل فى مقدمة المجاهدين الأولين فى حياة الرسول، وبشره ﷺ بالجنة فكان واحداً من العشرة المبشرين بها، واشترك فى الفتوحات فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان. أما أسماء قد شغلت بتربية أولادها، فلم يؤثر أنها حضرت من الغزوات سوى غزوة تبوك.

أسماء الأم

تفرغت أسماء لأولادها فَرَبَّتْهم على تعاليم الدِّين الإسلامى، وعلى التمسك بمبادئه القويمة، وعلى الإخلاص للَّه ولرسوله، والجهاد فى سبيله.

(١) رق لحال الزبير: رحمه.

(٢) الفرسخ: ثلاثة أميال.

ربتهم على الشجاعة، ونشَّأتهم ليكونوا فى الصفوف الأولى مع المجاهدين، فهى تعلم أن الإسلام دائماً بحاجة إلى المجاهدين، كانت تقص عليهم أخبار أبطال المسلمين من أمثال حمزة بن عبدالمطلب وغيره ممن استشهدوا فى سبيل اللَّه، وشجعتهم على أن يتعلموا ركوب الخيل والتمرس[1] بالرماية، واللعب بالسيوف، واستخدام الرماح، وأن يتقنوا كل عمل كلفوا به فاللَّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.

لقد أنجبت خمسة رجال، وثلاث بنات، نذكرهم فيما يلى:

١ـ عبد اللّه بن الزبير

عبداللَّه بن الزبير أكبر أولادها، وكان أول مولود يولد للمهاجرين فى المدينة وقد سر المسلمون به كثيراً، لأن اليهود قالوا: إنهم سحروا المهاجرين، وأنهم أصيبوا بالعقم[2]، ولن يروا مولوداً أبداً، فكانت ولادته سهماً رجع إلى صدر العدو.

فرح المسلمون فرحاً شديداً بمولد عبداللَّه، وتكذيب اليهود فيما ذهبوا إليه، كانت تؤدبه بأدب النبى، وتطلب منه أن تكون أعماله كما يرى عليها النبى ﷺ، وكثيراً ما كانت تتركه عند خالته عائشة ليرى النبى ﷺ وهو يصلى، ويراه وهو يعامل أهل بيته، وكيف يعامل خدمه وأصحابه، وكيف يتناول طعامه، وربما شاركه الطعام فى الغداء أو العشاء.

نشأ شجاعاً يجيد الضرب بالسيف، ويتمرن على فنون القتال، وهو مايزال صبياً صغيراً، فلقد اشترك فى المعارك وهو فى سن الرابعة عشرة.

ومما يدل على شجاعته أنه كان يلعب مع الصبيان فى شارع من شوارع المدينة ومر به عمر بن الخطاب، وكانت الصبية يهابونه إلى درجة الخوف الشديد، فلما رأوه فروا جميعاً إلا عبداللَّه فإنه وقف مكانه، فلما اقترب منه قال له ابن الخطاب:

– ما اسمك؟

فأجاب – بجرأة وشجاعة –: اسمى عبداللَّه.

(١) التمرس: المزاولة.

(٢) يقال امرأة عقيم: أى لا تلد.

قال له عمر: لقد رأيت الصبية يفرون، فلماذا لم تفر مثلهم؟
رد عليه عبدالله قائلاً:
- لم أجرم فأخاف منك، ولم تكن الطريق ضيقاً فأوسع لك.
فأعجب عمر بشجاعته، وتنبأ له بحياة كلها شجاعة وكفاح، وقد كان ما رآه عمر، فقد سعى سعياً شديداً كى يتولى أمر المسلمين، وقد تحقق له الكثير فقد وصل إلى الخلافة، ونودى به خليفة للمسلمين، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً كما سيأتى الحديث عن موقفه من خلافة الأمويين.

٢ـ عروة بن الزبير

ولد عروة فى السنة الثالثة والعشرين من الهجرة، ولما كبر اتجه إلى دراسة الفقه حتى كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وقد تأثر كثيراً بخالته عائشة، فلازمها طوال مدة حياتها، وتفقه على يديها، وكانت كثيرة الحفظ لأحاديث رسول الله ﷺ حتى قيل: إنها أفقه نساء الأمة.
لقد حفظ كل ما عرف منها من حديث رسول الله ﷺ حتى قال:
- لقد رأيتنى قبل موت عائشة بأربع حجج[1]، وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته.
كان عابداً تقياً صواماً خائفاً من ربه تحدثت كتب التاريخ عنه، فكان مما قالوا: كان فى زيارته للخليفة الوليد بن عبدالملك الأموى، وكان برفقته ابنه محمد وكان من أحب أبنائه إليه، وحدث أن المرض سرى بإحدى رجليه، وأجمع الأطباء على بترها حتى لا تقضى عليه.
قال عروة: شأنكم بها فافعلوا ما تريدون.
قالوا: نسقيك شيئاً لئلا تحس بما نصنع بك.
قال: لا!

(١) الحجة: العام والسنة وجمعها حجج: وجاء فى سورة القصص: ٢٧ (قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج..)

فلما نشروها، ورأى القدم فى يدهم، دعا بها فقلبها فى يده ثم قال: أما والذى حملنى عليك، إنه يعلم أنى ما مشيت بها إلى حرام قط.

ويروى أنه فى أثناء قطع رجله أن كان ابنه الأكبر فى حظيرة الدواب، فرفسته دابة فقتلته، فلما أخبروه بذلك قال: (اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد، وايم اللَّه لئن أخذت فقد أبقيت، ولئن ابتليت فطالما عافيت).

وإلى الأم العظيمة ينتمى هذا الابن الفقيه الصابر المحتسب، ثم إنه توفى بضيعةٍ [1] له قرب المدينة، وقد بلغ من العمر الرابعة والتسعين.

٣ـ المنذر بن الزبير

كان المنذر يعمل بالتجارة، وكثيراً ما كانت الأم تتوجه إليه بالنصيحة وتدعوه إلى تقوى اللَّه والتعامل بالصدق، والبعد عن الغش والخداع، والرضى بالمكسب الحلال، وتذكر له ما كان عليه جده أبو بكر، يوم أن كان تاجراً بمكة. قالوا عن المنذر:

كان سيداً حليماً مشهوراً بحسن الخلق، أهدى إلى أمه كسوة من ثياب رقاق بعدما بلغت المائة وكُفَّ بصرها فلمستها بيدها ثم قالت: - أف [2].. ردوا عليه كسوته، فإنها تشف.

قال المنذر: يا أماه إنها لا تشف.

قالت ـ رضى اللَّه عنها ـ: يا بنى إنها وإن لم تشف [3]، فإنها تصف.

قال لها المنذر: لا تشغلى بالك بهذا فسوف أبدلها بما تحبين.

ثم أهدى إليها ثياباً أخرى، فقبلتها وقالت: مثل هذا فاكسنى.

قتل المنذر مع أخيه عبداللَّه بمكة فى الحرب التى قامت بينه وبين بنى أمية.

أما المهاجر بن الزبير وعاصم بن الزبير.. فلانشك فى أنهما كانا فاضلين بفضل تربية الأم العظيمة.

(١) الضيعة: المزرعة.

(٢) أف: كلمة تقال حينما يتضجر الإنسان من شىء.

(٣) تشف: تظهر ما تحتها.

وأما البنات فكبراهن خديجة بنت الزبير، وكانت على جانب كبير من التقوى والتدين، تزوجت عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى.

وأم الحسن بنت الزبير تزوجها عبدالرحمن بن الحارث.

وعائشة بنت الزبير تزوجها الوليد بن عثمان بن عفان، وكلهن تفرغن لتربية أولادهن وأحفادهن.

لقد كفت[1] أسماء بنت أبى بكر الزبير تربية الأولاد وتثقيفهم، وانفردت بتعليمهم، فكانوا قدوة صالحة، مخلصين لربهم، متمسكين بدينهم.. ولكن حوادث عبدالله ابنها، وما أدت إليه نهايته غطت[2] على كثيرٍ مما قاموا به من أعمال.

أزمة عبد اللّه بن الزبير

الآباء والأمهات يحبون الأبناء النجباء[3].. ولقد كان عبدالله بن الزبير نجيباً ذكياً، فأحبته أمه حباً شديداً، كاد يزيد على حبها لأولادها الآخرين.

ظهر ذكاؤه منذ الصغر، وكان موضع تقدير من جده أبى بكر، ومن الخليفة عمر بن الخطاب، وعندما بلغ الرابعة عشرة من العمر اشترك فى الفتوحات الإسلامية فى العراق وفارس، وفى الشام وفلسطين، وفى مصر، ثم تولى قيادة الجيوش فى شمال أفريقية.

حضر حصار الخليفة عثمان بن عفان، ودافع عنه ضد أولئك الذين اقتحموا عليه داره، ثم أعلن معارضته لحكم بنى أمية سنة ٤٠هـ، ووقف ضدهم واتهمهم بالخروج على قواعد الحكم فى الإسلام، وانتصر عليهم، وأعلنت البلاد ولاءها له ما عدا دمشق وما حولها من القرى، التى ساعدت الأمويين على إرجاع الحكم لهم ثانية.

فقد استطاعوا بعد حروب دامية أن يستردوا ملكهم، وكان قد تولى قيادة جيش الخليفة عبدالملك بن مروان قائد جبار عنيد، هو الحجاج بن يوسف

(١) كفت أسماء الزبير: قامت مكانه. (٢) غطت: سترت.

(٣) النجباء: النبهاء الذين ظهر فضلهم على من كانوا مثلهم.

الثقفى، وكانت به جرأة وشدة وقسوة زائدة فظل يحارب عبداللَّه، وينتصر عليه حتى وصل إلى عاصمة حكمه (مكة المكرمة) فاستولى عليها، وظل وراء عبداللَّه حتى لم يبق له إلا المسجد الحرام والبيت العتيق[1] الذى تحصن به، وجعله مقر قيادته.

ثم دعاه الحجاج وقد تغلب عليه إلى الاستسلام، وله ما يريد من المال والأرض، ومتع الحياة والعيش الناعم المريح، لكنه أبى وامتنع وصمم على القتال، ووضع أمامه أمرين لا ثالث لهما إما النصر وإما القتال حتى الموت.

اشتد الحصار على ابن الزبير، ولكنه استطاع قبل الفجر أن يتسلل خفية إلى دار أمه أسماء.. ليعودها فى مرضها، وليودعها الوداع الأخير.

طرق الباب.. ودخل.. وما إن سمعت الأم صوته حتى فتحت له ذراعيها. ربت عبداللَّه على كتفيها فى رفق وحنان، ثم اضطجعت فى فراشها.

قال عبداللَّه: كيف تجدينك يا أماه؟

قالت الأم: ما أجدنى إلا شاكية.

داعبها عبداللَّه قائلاً: إن فى الموت لراحة!

قالت الأم: لعلك تتمنى الموت لى!

لا واللَّه يا أماه، ما أتمناه ولكن..

ردت أسماء سريعاً وقالت: وماذا بعد. ولكن.. اسمع يا عبداللَّه لا أحب أن أموت إلا بعد أحد أمرين لا ثالث لهما، إما أن تنتصر على أعدائك، وإما أن تموت فاحتسبك عند اللَّه.

ساد الصمت بين عبداللَّه وبين أمه أسماء، ثم أخذ يشكو لها بمرارة خروج أصحابه عليه، ولم يبق معه إلا القليل، والأعداء قد عرضوا عليه الصلح، وما يريد من المال والجاه إن هو استسلم لهم.

اعتدلت الأم فى جلستها، وقاومت ما بها من داء، وقالت:

– أو تستسلم؟!! يا بنى أنت أعلم بنفسك، إن كنت على حق وتدعو إلى حق، فاصبر عليه، فقد قُتِل أصحابك عليه، وإن كنت أردت الدنيا،

(١) البيت العتيق: الكعبة.

فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من معك، كم خلودك فى الدنيا؟ القتل أحسن، واللَّه لضربة سيف فى عِزٍ خير من ضربة سَوْط فى مَذَلَّة.

قال عبداللَّه: أخاف يا أماه إن مت أن يمثلوا بجسدى.

قالت أسماء بنت أبى بكر كلمتها الخالدة: (لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها).

دنا عبداللَّه منها أكثر، وقبلها فى جبينها وقال:

هذا -واللَّه- رأيى ما حدت عنه، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة، فانظرى يا أماه فإنى مقتول فى يومى هذا، فلا يشتد حزنك وجزعك علىَّ، وسلمى الأمر للَّه.

حبست الأم دموعها، وتغلبت على ما يخالجها من آلام، ثم قالت:

- إنى لأرجو أن يكون عزائى فيك حسنا، اخرج حتى أرى ما يصير إليه أمرك.

الوداع الأخير

وقفت الأم وضمت ابنها إلى صدرها، وكانت الضمة الأخيرة، ورفعت وجهها إلى السماء. وقالت: (اللهم إنى قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فقابلنى فى عبداللَّه بثواب الصابرين الشاكرين).

ثم جعلت تحسّن إليه الشهادة، وتذكره بأبيه وجده، وجدته صفية بنت عبدالمطلب، وخالته عائشة، وتحبب إليه القدوم عليهم إذا قتل شهيداً.

دخل المسجد، ثم صلى الصبح، وما كاد يأخذ مكانه للرد على سهام الأعداء حتى أصابه سهم من سهامهم، فصرخ من كان بجواره، فحدد أعداؤه مكانه، وتوالت عليه السهام، ثم سقط قتيلاً.

أمر الحجاج بأن يصلب ابن الزبير فى جذع نخلة على ثنية عند الحجون[1]، وجاءت أسماء بنت أبى بكر حتى وصلت إليه، وجعلت تدعو له، وتخاطبه كأنما هو حى، لا تتأثر، ولا تتلجلج، ولا يبدو عليها هلع ولا اضطراب.

(١) الثنية: المكان المرتفع. والحجون: حى من أحياء مكة.

وعندما علم الحجاج بوصول أسماء إلى ابنها المصلوب على الثنية جاء مسرعاً إليها، وأنصت إليها فسمعها تقول: أما آن لهذا الفارس أن ينزل؟[1].

قال الحجاج: تقصدين المنافق يا بنت أبى بكر.

أجابت أسماء على الفور: لا - واللَّه - ما كان أبداً منافقاً، ولكنه - رضى اللَّه عنه - كان صواماً بالنهار قواماً[2] للصلاة بالليل، برًا بوالديه وبالمسلمين.

صلابة أسماء

علم الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان بما قاله الحجاج، وموقفه من بنت أبى بكر الصديق فأرسل إليه قائلاً: مالك وابنة الرجل الصالح؟

أرسل إليها الحجاج أن تأتيه، ولكنها أبت وامتنعت، فأسرع إلى دارها وقال:

- يا أماه.. إن الخليفة عبدالملك أوصانى بك، فهل لك من حاجة؟

فأجابت بنت أبى بكر: لست لك بأم.. إنما أنا أم المصلوب على الثنية، مالى من حاجة.

وعاد الحجاج إلى طبيعته القاسية فقال لها: كيف رأيتنى فعلت بعدو اللَّه؟

فأجابت - رضى اللَّه عنها - على الفور:

- رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، وأمام صلابة أسماء وقوة إيمانها، وعظيم منطقها، وثقتها بما عند اللَّه، أمر الحجاج بإنزال جسم ابن الزبير.

(١) تقصد إنزال ابنها المصلوب ليدفن.

(٢) صواما: كثير الصوم وقواماً: كثير القيام للصلاة فى الليل.

نزل عبداللَّه من مصلبه، ودخلوا به على أمه، فحمدت اللَّه الذى لا يحمد على مكروه سواه، ثم اشتركت فى غسله، وأحضرت الكفن وكانت قد أعدته، وهى تستمع إلى أخبار عبداللَّه مع أعدائه وانتصاراتهم عليه، فأدرجته فيه بعد أن طيبته بيدها، ثم صلّت عليه وحدها، قبل أن يصلى عليه الناس.

وبعد أيام من دفن ابنها عبداللَّه لبت نداء ربها، فانتقلت إلى دار الآخرة صابرة محتسبة مؤمنة ـ رحمها اللَّه ورضى عنها ـ.

الخلاصة

١ – أسماء زوجة مثالية توفر لزوجها الأمن والأمان، ولا تكلفه فوق طاقته راضية بحياتها.

٢ – أسماء أم تربى أولادها تربية سليمة؛ فتعد للوطن العلماء والأبطال وأمهات المستقبل.

٣ – أسماء المرأة الشجاعة، الصابرة تؤيد ابنها فى دفاعه عن الحق، وتقف فى وجه الوالى الظالم، لا تبالى فى الحق لومة لائم.

المناقشة

١ - **«كانت أسماء تعلف الفرس، فتدق له النوى وتؤكله فتكفى الزبير مئونته وتسقيه الماء، وتخرز غَرْبه، وتعجن الدقيق، ولم تكن تحسن العجن والخبز».**

(ا) تخير المعنى الصحيح مما بين الأقواس فيما يأتى:

الفرس: جمعها (فرسان - أفراس - فراس).

الغرْب: معناها (الدول - الإناء - الحقيبة من الجلد).

رعاية الفرس واجب (الزوجة - الزوج - الخادم).

(ب) قامت أسماء بواجبها كامرأة ثم أدت بعض أعمال الرجال.

وضح من الفقرة عمل النساء وعمل الرجال.

(جـ) أسماء لم تكن تعرف العجن والخبز. فكيف تصرفت؟ وما الدرس الذى نتعلمه من ذلك؟

٢ - **لم تشارك أسماء فى الغزوات إلا فى غزوة تبوك.**

فهل تعتبر مقصرة فى دورها كامرأة؟ وما المقابل التى قدمته بديلاً عن مشاركتها فى الحرب؟

٣ - **أهدى المنذر بن الزبير أمه (أسماء) كسوة، فرفضتها (أسماء) لتعلّم النساء درساً فى اختيار الملبس اللائق.**

ما شروط الملبس اللائق بالمرأة كما وصفته أسماء؟

٤ - **«أخاف يا أمى إن مت أن يمثلوا بجسدى».**

(ا) من القائل؟ وما مناسبتها؟

(ب) تخيل نفسك مكان الأم، فماذا يكون الرد؟

(جـ) ردت أسماء رداً خلده التاريخ. فما هو؟ وعلام يدل؟

الفصل السابع
والأخير

أسماء الأسوة والقدوة

مقدمة: إن سيرة أسماء بنت أبى بكر الصديق ستظل على مدى الأيام والسنين تحمل المعانى الخالدة، ويتناقلها الجيل بعد الجيل، ليكون منها الأسوة والقدوة، فهى المخلصة لربها، المتفانية فى سبيل دينها وعقيدتها لمشاركتها فى الهجرة، فكانت عنواناً لتضحية المرأة المسلمة وقدوة تسير على طريقها، ثم تعاونها مع الزوج فكانت المثل الأعلى للزوجة الصالحة، وكانت تضحيتها الغالية بابنها فى سبيل المبدأ والرسالة والدين، وفوق كل ذلك هناك من الصفات ما ينبغى أن نتأسى بها، ونضعها أمامنا لنسير على طريقها.

كرم أسماء

كانت أسماء كريمة، وكان كرمها لا يقف أمامه شىء، فقد تنفق كل ما معها، ولا يبقى لها شىء، يستوى عندها الإنفاق فى حالات الفقر والغنى، فلا يمنعها الفقر، ولا يبقى لها الغنى شيئاً، فقد أصبح كرمها عادةً وسجيةً.

ذهبت إلى رسول اللَّه ﷺ فى شدتها وعسرها وقالت: يا نبى اللَّه، ليس فى بيتى شىء إلا ما أدخل علىّ الزبير، فهل أكون مذنبة إذا أعطيت القليل من ماله؟

فقال لها ﷺ: أعطى ولا تبخلى فيبخل اللَّه عليك.

وكانت تقول لبناتها وأهلها: أنفقن.. وتصدقن.. ولا تنتظرن الزيادة عما عندكن حتى تجدْن به، فإنه أحسن ثواباً وأجدى عند اللَّه.

ولما كثر الخير والمال عندها كانت تمرض، فتعتق فى مرضها كل مملوك لها. وقال عنها عبدالله بن الزبير:

– ما رأيت امرأة أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، أما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد.

شجاعة أسماء

كانت شجاعة، وتظهر شجاعتها الفائقة فى الهجرة.. فى مقابلتها لعدو الله أبى جهل، وفى موقفها مع جدها أبى قحافة، وفى ذهابها ليلاً وعودتها مع أخيها عبدالله لتحمل ما يحتاج إليه الرسول وأصحابه، ثم شقها لنطاقها لتربط به الزاد والماء.

وفى غزوة تبوك حضرت مع زوجها وابنها عبدالله وكان صغيراً، واستعدت لقتال العدو، وقالت للزبير – رضى الله عنهما –: يا أبا عبدالله – والله – إن كان الرجل من العدو ليمر يسعى فيصيب قدمه عروة أطناب خبائى، فيسقط على وجهه ميتاً ما أصابه سلاح.

وفى زمن سعيد بن العاص أحد الولاة على المدينة بعد موت رسول الله ﷺ وفى زمن الخلفاء، كثر اللصوص فكانت تتخذ خنجراً تجعله تحت رأسها، لتدافع به عن نفسها.

قيل لها: ما تصنعين بهذا:

قالت: إذا دخل علىّ لص بعجت[1] بطنه.

قوة إيمان أسماء

كانت قوية الإيمان، كانت عقيدتها صافية لا يعكر صفوها شيء مهما غلا ثمنه، وارتفعت مكانته، ولو كان أغلى الناس عندها لضحت به ابتغاء مرضاة الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

(١) بَعَجَ: شق: يقال: بعج البطن بعجا: شقه فبرزت أحشاؤه.

قدمت أمها قتيلة إلى المدينة، وكان أبو بكر قد طلقها فى الجاهلية ولاتزال على الشرك، وقد حملت لابنتها هدايا: زبيباً وسمناً... إلخ، فأبت أن تقبل هديتها، أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة – رضى اللَّه عنها – تقول لها: سلى رسول اللَّه فى أمر أمى وما تحمل:

فقال ﷺ: لتدخلها بيتها، وتقبل هديتها.

فأنزل اللَّه – سبحانه وتعالى – فى ذلك قرآناً يتلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

صدق الله العظيم

صبر أسماء

كانت أسماء صابرة على آلامها الجسمية والنفسية، محتسبة ذلك عند اللَّه – سبحانه وتعالى –، كان فى عنقها ورم فصبرت على آلامه، وشكت آلامها للنبى ﷺ، فجعل النبى يمسح عنقها ويقول: «اللهم عافها من فحشه وأذاه».

وكانت إذا صدعت تضع يدها على رأسها وتقول:

(بذنبى.. وما يغفر اللَّه أكثر).

(١) سورة الممتحنة (الآيتان ٨، ٩).

تضايقت من شدة الزبير وغيرته أحياناً، وذكرت ذلك لأبيها فقال لها رضى اللَّه عنه:

– يا بنية اصبرى، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها، فلم تتزوج بعده، جمع اللَّه بينهما فى الجنة.

وقصة أسماء مع ابنها عبداللَّه فاقت كل وصف، فيها قوة الإيمان وصدق العزيمة، وعزة النفس المؤمنة، والتسليم لأمر اللَّه، والتضحية بكل غال وعزيز فى سبيل المحافظة على العقيدة الصحيحة والتمسك بدين اللَّه، والموت فى سبيله.

وهل هناك شىء أغلى من ابنها وفلذة كبدها؟

لقد كانت فى أمس الحاجة إليه بعد الهرم والضعف والوهن وفقد البصر، لقد أمرته أن يجاهد حتى يموت، ونصحته بأن يستمر فى قتاله حتى النهاية، وكانت هادئة النفس مطمئنة القلب، موقنة إيقاناً لاشك فيه أنها ستلقاه فى الآخرة.

لقد أدت رسالتها، وإنها لأعظم رسالة، فيها الأسوة والقدوة لكل مؤمن ومؤمنة.

– رضى اللَّه عنها –، ورفع مكانتها مع الأنبياء والرسل والشهداء والصالحين.

الخلاصة

تختتم القصة بالهدف الذى نسعى إليه، وهو الأسوة والقدوة فى سيرة أسماء.

فى الكرم وقوة الإيمان، والصبر، والشجاعة والصمود؛ لتكون نبراسا لكل فتاة مؤمنة معتزة بربها ودينها ونفسها، واللَّه الموفق.

المناقشة

١ - «كانت كريمة، وكان كرمها لا يقف أمامه شىء، ولا يُبقى لها شيئاً، يستوى عندها الإنفاق فى حالات الفقر والغنى، فلا يمنعها الفقر، ولا يبقى لها الغنى شيئاً، فقد أصبح كرمها عادة وسجية».

(ا) ما معنى «سجية»؟ وما جمعها؟

(ب) اكتب من سيرة أسماء قصة تدل على كرمها.

(جـ) قال عبداللَّه بن الزبير ما رأيت امرأة أجود من عائشة وأسماء.

من عائشة؟ وما علاقتها بأسماء؟

اتصفت كل من عائشة وأسماء بالكرم، ولكن الطريقة اختلفت.

قارن بين طريقة كل منهما.

٢ - هات مثالاً لشجاعة أسماء.

٣ - كان لأسماء موقف من أمها (الكافرة) ما هو؟ وما رأيك فى تصرف أسماء؟

٤ - تحدث عن صفة من صفات أسماء أعجبتك، وتتمنى أن تراها فى كل فتاة مؤمنة.

الفهـــرس

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٧٠٥



- الصدق أقصر الطرق إلى الإقناع .
- التعليم حق للجميع .. فاحرص على أن تكون دائمًا جديرًا بهذا الحق .
- القراءة تغذى العقل .. والرياضة تقوى الجسم ..والفنون تهذب الإحساس .
- من الإيمان أن تهتم بنظافة بدنك ، وملابسك، وبيتك ومدرستك.
- الإنتاج هو طريقنا إلى القوة والرخاء .
- تلوث الطعام وتعرضه للذباب والحشرات، يساعد على انتشار الأمراض .
- استعمال المرحاض الصحى والحفاظ على نظافته والإبقاء عليه مغلقًا وغسل الأيدى، يحد من الإصابة بالأمراض .
- قد تؤدى البلهارسيا إلى مضاعفات صحية خطيرة للأطفال والبالغين .
- يتم العلاج من البلهارسيا الآن بتناول جرعة واحدة من الأقراص ، وهى صحية وآمنة ومتاحة فى كافة الوحدات الصحية بلا مقابل .
- اغرس شجرة ، أو ازرع زهرة .. تجد كل ما حولك سعيدًا باسمًا .

مقاس الورق	ورق المتن	ورق الغلاف	ألوان الكتاب		عدد صفحات الكتاب	مقاس الكتاب
			المتن	الغلاف		
١/١٦ ٧٠ × ١٠٠ سم	٧٠ جرام أبيض	٢٠٠ جم كوشيه	١ لون	٤ لون	٥٢ صفحة بالغلاف	١٧ × ٢٤ سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر

